رحـــــــلات أنور

- ١٠ -

مع الجمل فى الصحراء الكبرى

سَأَلَ أنورُ « أَيْنَ نَحْنُ ؟ »

الجَمَلُ : « نحنُ فى الصحراء الكبرى فى شَمَالِ إفريقِيَّةَ . » وكَانَ الجَمَلُ وهو سائرٌ فى طَرِيقِهِ يُنْمِي رقبَتَهُ الطويلةَ لِيَلْتَقِطَ النباتاتِ الشائِكَةَ التى يَمُرُّ عليها. وكَانَتْ تَبْدُو عليهِ دلائلُ الابتهاجِ والسرورِ بها ، بالرَّغْمِ أَنَّهَا شَدِيدَةُ الجَفَافِ . وأَشْوَاكُهَا لم تَكُنْ لِتُؤْذِيَهُ مطلقاً ، لِأَنَّ فَمَهُ مُغَطًّى من الداخِلِ بطبقةٍ جامدَةٍ ، لا تَنْفُذُ فيها الأشواكُ .

وبَيْنَمَا هما كذلك إذِ الْتَفَتَ الجَمَلُ إلى أنورَ ، قائلا : « إِنِّى آكُلُ وأنا سائرٌ فى طريقى . والواقعُ أَنِّى آكُلُ كُلَّمَا وَجَدْتُ لذلك سبيلا. فى الصحراء بِقَاعٌ نَسِيرُ فيها عِدَّةَ أيامٍ من دون أنْ تَجِدَ بها شيئاً سِوَى الصُّخُورِ والرَّمْلِ والحَصَى والتُّرَابِ . ويَتَحَوَّلُ جُزْءٌ من غِذَائِى إلى دُهْنٍ يُخْزَنُ فى سَنَامِى ، حتى إذا وُجِدْتُ فى مكانٍ لا نباتَ فيه ، تَغَذَّيْتُ من هذا الدُّهْنِ . وإذا طَالَ السَّفَرُ ولم أَجِدْ غِذَاءً استَهْلَكْتُ كَمِّيَّةً كبيرَةً منه ، فيُصْبِحُ ظَهْرِى مُسَطَّحًا تقريباً . وأَسْتَطِيعُ ، مَا عَدَا ذلك ، أَنْ أَخْزُنَ الماءَ فى مَعِدَتِى ، فأُسافِرَ عِدَّةَ أيامٍ من دُونِ أَنْ أَحْتَاجَ إلى الماءِ.

ونَظَرَ أنورُ حَوْلَهُ ، فَرَأَى السماءَ صافيةً لا سَحَابَ فيها ، والشَّمْسَ حاميةً مُحْرِقَةً . ولَمْ يَقَعْ نَظَرُهُ على بُيُوتٍ أو خِيَامٍ أو نَبَاتٍ أو بَشَرٍ . فالْتَفَتَ إلى الجمل قائلاً : « إِنَّ هٰذا مكانٌ قَفْرٌ ! فأَيْنَ العَرَبُ الذين يَعِيشُونَ فى الصحراء ؟ »

فأجابَ الجملُ : « نحنُ لا نَبْعُدُ عنهم كثيراً . وسَآخُذُكَ إليهم » .

ثمَّ بَرَكَ الجملُ ، وطَلَبَ من أنورَ أن يَرْكَبَ على ظَهْرِهِ . ونَهَضَ به على رِجْلَيْهِ الخَلْفِيَّتَيْنِ أَوَّلاً . وكادَ أنورُ يَقَعُ على رأسِهِ بسببِ ذلك ، لولا أنَّهُ أَمْسَكَ بالسَّنَامِ . وأَسْرَعَ الجملُ فانتَصَبَ على رِجْلَيْهِ الأماميَّتَيْنِ . وأَخَذَ يَسِيرُ بخُطُوَاتٍ واسِعَةٍ ، ويَهْتَزُّ فى حَرَكَتِهِ . فكانَ أنورُ يَمِيلُ من جانبٍ لآخَرَ ، حتى بَدَأَ أَنْ يَشْعُرَ بِدُوَارٍ . وبعدَ قليلٍ الْتَفَتَ إليه الجملُ قائلاً : « أَبْشِرْ ! فإنَّا قادمونَ على مُخَيَّمٍ قريبٍ !! »

فسألهُ أنورُ : « ولكنْ كيفَ عرفتَ ذلكَ ؟ »

قالَ الجملُ : « ألا ترى هذه الضأنَ والمعزَ التى ترعى أمامَنا ، وآثارَ أقدامِ الإبلِ واضحةً على الرملِ ؟ »

وكانَ الجملُ على حقٍّ إذ أشرفوا فى الحالِ على منخفضٍ فى الرمالِ ، وكانَ مخيمًا لبعضِ الأعرابِ ، فيهِ خيامٌ كثيرةٌ . وأكبرُ الخيامِ لمْ يكنْ ليزيدَ كثيراً فى الارتفاعِ على قامةِ شخصٍ طويلٍ . وكانتْ جميعُها من نسيجِ صنعتهُ نساءُ الأعرابِ من شعرِ المعزِ ووبرِ الجمالِ . وكانَ بعضُ الرجالِ جالسينَ خارجَ الخيامِ ، كأنهمْ ينتظرونَ قدومَ واحدٍ منهم . وكانوا يلبسونَ ملابسَ مصنوعةً من شعرِ المعزِ ووبرِ الإبلِ وصوفِ الضأنِ . فالعربىُّ الذى يعيشُ فى الصحراءِ ، يجبُ عليهِ أنْ ينتفعَ جهدَ الاستطاعةِ بما تنتجهُ قطعانُ الغنمِ والإبلِ من الشعرِ والصوفِ والوبرِ والجلودِ . فليسَ لديهِ شىءٌ سوى ذلكَ . »

وفى تلكَ اللحظةِ سمعَ أنورُ وقعَ حوافرِ حصانٍ . وبعدَ برهةٍ قصيرةٍ وصلَ شابٌّ عربىٌّ ، وقفزَ إلى الأرضِ صائحًا : « وجدتهُ ! وجدتهُ !! » وفى الحالِ أخذَ الجميعُ يستعدونَ للرحيلِ .

فسألَ أنورُ : « ما الخبرُ ؟ »

فقالَ الجملُ : « إنَّ هؤلاءِ الأعرابَ قد قضوا مدةً فى هذا المكانِ ، وقد استنفدتْ غنمُهمْ وإبلُهمْ كلَّ ما فيهِ من أعشابٍ وحشائشَ . ولابدَّ أنهمْ أرسلوا هذا الشابَّ أمسِ ليبحثَ عن مكانٍ آخرَ يتيسرُ فيهِ الماءُ والغذاءُ للماشيةِ . وقد وجدَ مكانًا صالحًا . ولذلكَ تراهمْ يستعدونَ للرحيلِ . »

وأخذَ الرجالُ يحملونَ الجمالَ . وكانَ أحدُها يحملُ الماءَ فى قربٍ مصنوعةٍ من جلودِ المعزِ . وكانَ متاعُهمْ كميةً عظيمةً من السجاجيدِ والحصرِ والأغطيةِ الصوفيةِ ، وأباريقِ القهوةِ والشايِ وأكياسٍ مملوءةٍ بالخبزِ والجبنِ والتمرِ .

وسارتِ القافلةُ ، وفى مقدمتِها الشابُّ ممتطيًا جوادَهُ ، وتتبعهُ الجمالُ المحملةُ ، ثمَّ قطعانُ الغنمِ والإبلِ ، يقودُها شبانُ القبيلةِ . وكانتِ القافلةُ تسيرُ ببطءٍ ، لأنَّ الغنمَ لا تستطيعُ الإسراعَ فى سيرِها . ثمَّ إنها بينَ كلِّ آونةٍ وأخرى كانتْ تقفُ لتأكلَ ما عساها تعثرُ عليهِ من أعشابٍ .

وبينما الجمعُ كذلكَ ، إذ توقفتِ الجمالُ عن الأكلِ ، ورفعتْ رءوسَها ، على إثرِ سماعِ صوتِ الرياحِ ، منبئةً بهبوبِ عاصفةٍ رمليةٍ . عند ذلكَ بركتِ الجمالُ بسرعةٍ ، وأقفلتْ عيونَها وخياشيمَها لدرءِ الرمالِ ، وخفضتْ رءوسَها حتى كادتْ تلمسُ الأرضَ . أما الأعرابُ فإنهمْ جلسوا بجانبِ الجمالِ ، وغطوا وجوهَهمْ بعباءاتِهمْ . وأما الضأنُ والمعزُ فإنها تجمعتْ ، وظهورُها بجاهَ الرياحِ .

وأخذتِ العاصفةُ تزدادُ قوةً فى هبوبِها ، فكانتِ الرمالُ تلسعُ كأنها شررٌ متطايرٌ من نارٍ . وأصبحوا

لا يَرَوْنَ شَيْئاً ، ولا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَتَنَفَّسُوا إلاَّ بكلِّ مَشَقَّةٍ . وعند ما هَدَأَتِ العاصفةُ وَجَدُوا أَنفُسَهُمْ . وقد كادَتِ الرِّمالُ تَدفِنُهُمْ تَحْتَهَا . ولَمْ يَصِلُوا إلى البُقْعَةِ التى يَقْصِدُونَهَا الا قُبَيْلَ الغروبِ . وهناكَ أقامَتِ النِّسْوَةُ الخِيامَ ، وبَدَأْنَ فى تَجْهِيزِ العَشَاءِ .

وسارت القافلة

وحينَمَا غابَتِ الشمسُ اشْتَدَّ البَرْدُ ، وبدأَ أنورُ أنْ يَرْتَعِشَ . ولاَحَظَ ذلك عليه بعضُ الأطفالِ ، فأَخَذُوهُ إلى داخلِ إحْدَى الخِيامِ : وكانَ فى وَسَطِهَا سِتَارٌ يَقْسِمُهَا قِسْمَيْنِ ؛ ليَجْعَلَ من الخَيْمَةِ غُرْفَتَيْنِ للنَّوْمِ إحداهما للرِّجالِ والأولادِ ، والأُخْرَى للنِّساءِ والبَنَاتِ . وأمَّا الأرضُ فكانَتْ مَفْرُوشَةً بِسَجَاجِيدَ زَرْقَاءَ وحَمْرَاءَ .

وبَعْدَ قليلٍ كانُوا جميعاً قد شَعَرُوا بجوعٍ شَدِيدٍ ، فَأَكَلُوا ، وتَنَاوَلَ أنورُ نَصِيبَهُ من البَلَحِ ولَبَنِ المَعْزِ والجُبْنِ وكَعْكٍ صَغِيرٍ مصنوعٍ من دَقِيقِ الشَّعِيرِ .

وبَعْدَ العَشَاءِ قَالَ الوالدُ : « لَقَدْ حَانَ وَقْتُ النَّوْمِ . » وفى الحالِ لَفَّ كُلٌّ منهم نَفْسَهُ فى عَبَاءَتِهِ ، ونَامُوا عَلَى الأَرْضِ . أمَّا أنورُ فإنَّهُ بَقِيَ مُدَّةً يَنْظُرُ إليهم ، ولكنَّهُ شَعَرَ بالبَرْدِ يَشْتَدُّ شيئاً فشيئاً . فقام بهُدُوءٍ ، وخَرَجَ من الخَيْمَةِ ، وهو يَقُولُ فى نَفْسِهِ : « لا أَظُنُّنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْضِيَ اللَّيْلَ هُنَا ؛ فَلَيْسَ لى عَبَاءَةٌ سَمِيكَةٌ مثلُ عَبَاءَاتِ الأَعْرَابِ ، فَلأَعُدْ إلى سَفِينَتِى . »

ولَمْ يَكَدْ يَضَعُ قَدَمَهُ عَلَى السَّفِينَةِ حتَّى أَقْبَلَ عليه سائرُ الحيواناتِ لِيَرَوْا مَنْ منهم سَيَأْتِي عليه الدَّوْرُ القادمُ .

ونَادَى أنورُ القِطَّ ، وطَلَبَ منه أنْ يَخْتَارَ ورقةً من الطربوش ، فإذَا عليها اسْمُ الأَسَدِ .

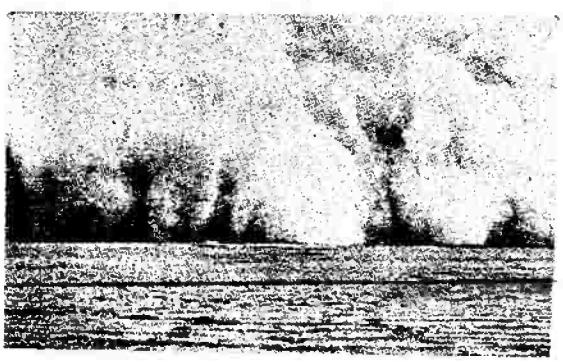

واخذت العاصفة تزداد قوة فى هبوبها

ففَرِحَ الأَسَدُ فَرَحاً شديداً ، وصاحَ قائلا : « هذا بَدِيعٌ جِدًّا . وسَأَتَوَلَّى قِيَادَةَ السَّفِينَةِ ، فَاذْهَبُوا إلى فِرَاشِكُمْ ، وسَأُنَادِيكُمْ عِنْدَ ما نَصِلُ إلى بِلَادِى . »

مؤسس الكشافة يمر بمصر

(بقية المنشور بالصفحة الأولى)

المصرية ونائب عن أهالي بورسعيد . واستقل الجميع السيارات إلى نادي الألعاب ببورسعيد ، حيث اجتمع ألفان من المرشدات والكشافة مصريين وأجانب . ولم يكد يدخل مؤسس الكشافة فناء النادي ، حتى صاح الجمع هاتفين فرحين مبتهجين برؤيته . ولكن نفخة واحدة في الصفارة كانت كافية لإعادة النظام ومراعاة السكون التام .

ثم بدئ بالموسيقى والاستعراض الذي استغرق زهاء نصف ساعة . وسارت في المقدمة المرشدات المصريات ثم الأجنبيات ، فالكشافة المصريون واليونانيون والفرنسيون والسويسريون والأرمنيون ثم الإنجليز .

ولما انتهى الاستعراض قامت المرشدات المصريات بحركات توقيعية على أنغام الموسيقى ، أعقبها عرض بعض أعمال الإرشاد . وقد تقدمت هذه الأعمال رئيسة المرشدات العالمية اللادي بادن باول مصحوبة بالكشاف الأعظم . وكان السرور بادياً عليهما وكانا يضحكان ويمزحان مع الكثيرين .

ثم بدأت الكشافة المصرية بإقامة الأعلام على سارية عملت من عصي الكشافة . وقد تم إقامة عشرين علماً فيما يقرب من دقيقتين ونصف دقيقة . وكان بعض الجوالة في هذه الاثناء يلعبون بالحبال ويعرضون ألعابا (بهلوانية) .

ولما سمع الكشافة صفارة الاجتماع العام كان الجميع على بضع خطوات من الكشاف الأعظم . وعبثاً حاول المنظمون منع المرشدات والكشافة من الدنو منه . وعند ذلك تقدم إليهم الكشاف الأعظم ودار أمامهم ، وأشار بيديه ، علامة الجلوس . فهدأت العاصفة وصمت الجميع مرهفين السمع إلى ما عسى أن يقال . وهنا ألقى مندوب جمعية الكشافة كلمة الترحيب . ثم قام اللورد بادن باول ، بين عاصفة من التصفيق الشديد وقال :

« أخواتي المرشدات وإخواني الكشافة :

« سيكون خطابي مقصورا على الكشافة . أما المرشدات ، فسأترك خطابهن للرئيسة (يريد قرينته) ولو أنكم مضطرون للإنصات إلي ، سواء أعجبكن كلامي أم لم يعجبكن (ضحك كثير)

إنني مسرور لرؤيتكم . وما كنت أتوقع أن أراكم بهذا العدد ، وهذا النظام . وإني سعيد لنزولي إلى البر ، أحمل اليكم سلام إخوتكم الكشافة الإنجليز ، ذلك السلام الذي يحمل بين طياته آيات الحب والصداقة والإخاء . وإني لمغتبط وفخور بالبرقية التي تفضل سموه كشافكم الأعظم بإرسالها إلي .

إني ذاهب بعد دقائق إلى أستراليا ، حيث يجتمع

لورد بادن باول يلقى كلمته امام « الميكروفون »

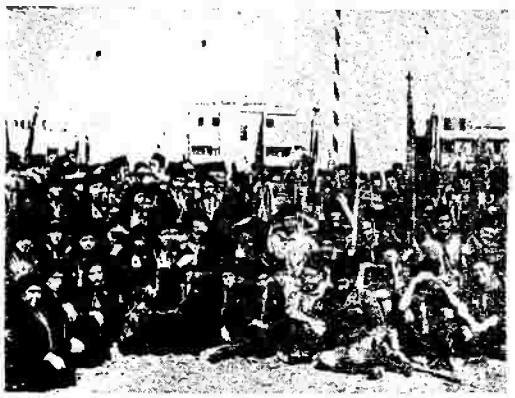

فريق من الكشافة والمرشدات يستمعون لكلمة الكشاف الأعظم

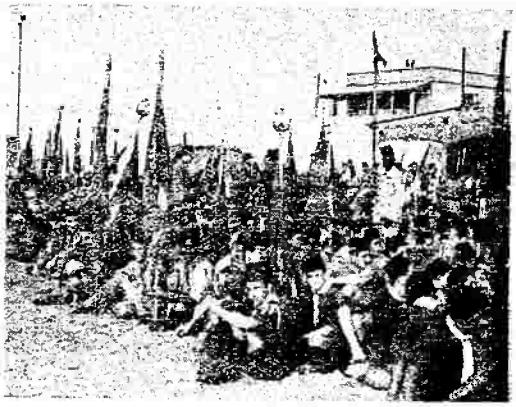

فى انتظار العرض العام

استعراض المرشدات المصريات

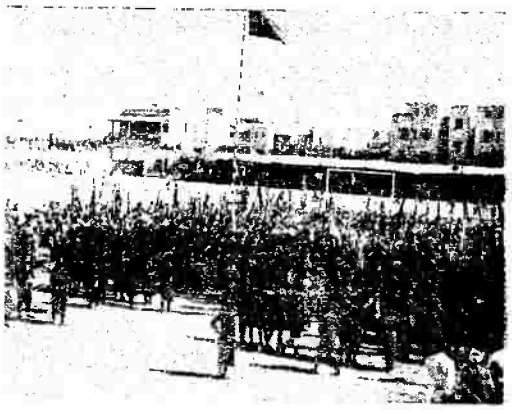

فى انتظار الكشاف الأعظم

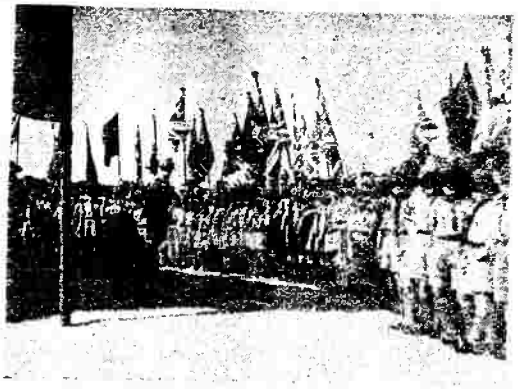

الكشافة الأجانب يحملون أعلامهم

كشافة من الجزء الآخر من العالم فى ملبورن. وسيضم هذا الاجتماع كشافة من نيوزيلاندو الولايات المتحدة وكندا وشيلى وبيرو، وكذلك من اليابان والصين، وجميع الكشافة الأستراليين. وسيجتمعون فى صعيد واحد فى أسرة كبيرة واحدة، حيث يشعر الجميع أنهم إخوة. وإنى أشعر هنا بنفس الشعور. فإنى أرى هنا هذا الإخاء وهذه الصداقة التى ترتبط بينكم على اختلاف جنسيتكم. أنتم هنا، وفيكم المصرى واليونانى والإنجليزى والفرنسى والأرمنى والسويسرى، تقفون جنبا لجنب كأنكم إخوة من أب واحد، وإنكم لكذلك.

وإنى أناشدكم أن تحافظوا على هذا الإخاء طول حياتكم. وإنى أؤكد لكم أنه لو كان بين الشعوب من المودة والمحبة ما بيننا معشر الكشافة، لما كان هناك عداء ولا كانت حروب (تصفيق شديد).

واذكروا أننا جميعا نعبد إلها واحدا، مهما اختلفت شعوبنا وأديانا والطرق التى نؤدى بها هذه العبادة.

أما المرشدات فليس لدى ما أقوله سوى أنى لم أر فى حياتى أكثر منهن رشاقة وحسنا.

وأشكركم».

وجلس بين هتاف حاد وتصفيق متواصل.

ثم قامت اللادى بادن باول، وقالت:

«إن ما رأيته من أعمالكم و أعمال المرشدات سرنى غاية السرور. وسأحمل ذكراكم فى نفسى دائما وسأنقل معى تحياتكم إلى إخوتكم وأخواتكم فى ملبورن.

وأشكركم خالص الشكر».

ثم تحركت سيارة الكشاف الأعظم إلى مقر الكشافة اليونانيين، ثم إلى حفلة إزاحة الستار عن أساس المنبر الجديد للكشافة الإنجليز ببور سعيد.

ولا يفوتنى أن أذكر هنا حادثة تدل على قوة ملاحظة الكشاف الأعظم. فإنه حين خروجه من حفلة الكشافة الإنجليز، كانت تقف بين الجماهير المتراصين عند مدخل مكان الاجتماع فتاة صغيرة بملابس الزهرات (صغار المرشدات)، فلحظها الكشاف الأعظم من بين هذه الجماهير، وأدرك أنها من الزهرات، فرد عليها التحية بإصبعين.

وإنى لأتمنى أن تسنح لك الفرصة، فترى اللورد بادن باول مؤسس الكشافة العظيم.